

# عندما يسافر الغريب إلى مراكش

تحقيق وتصوير: أرمين غيمبر

"اللؤلؤة الحمراء"، و"قلب المغرب النابض"، "مسرح الشرق"، "مائدة المجموعات"، هذه هي تسميات مدينة مراكش. وعندما يتكلم الناس عنها، وخصوصا جامع الفنا الساحة المفضلة عندهم، لا تستطيع أدلة السفر الأوروبية التوقف عن استخدام لغة المبالغة. فهل تستطيع المدينة تلبية تطلعات أيقظتها أدلة السفر؟

بالنسبة للكثيرين الذين لم يزوروها سابقا، فإن لها هالة سحرية، وهي مدينة مليئة بشذا الشرق، ومكان لا تزال الحياة العربية القديمة موجودة فيه. بل إن الذين يعرفون إفريقيا من الداخل ولهم دراية

بالعالم العربي، يعني لهم الدخول إلى هذه الساحة الواقع تحت سحر أصوات الطبالين وحركات البهلوانيين ومروضي الثعابين. ومصطلح "مسرح الشرق" هو أحسن وصف للمشهد الذي ستشاهدونه. لماذا؟ لأن



Djemaa el-Fna

جامع الفنا

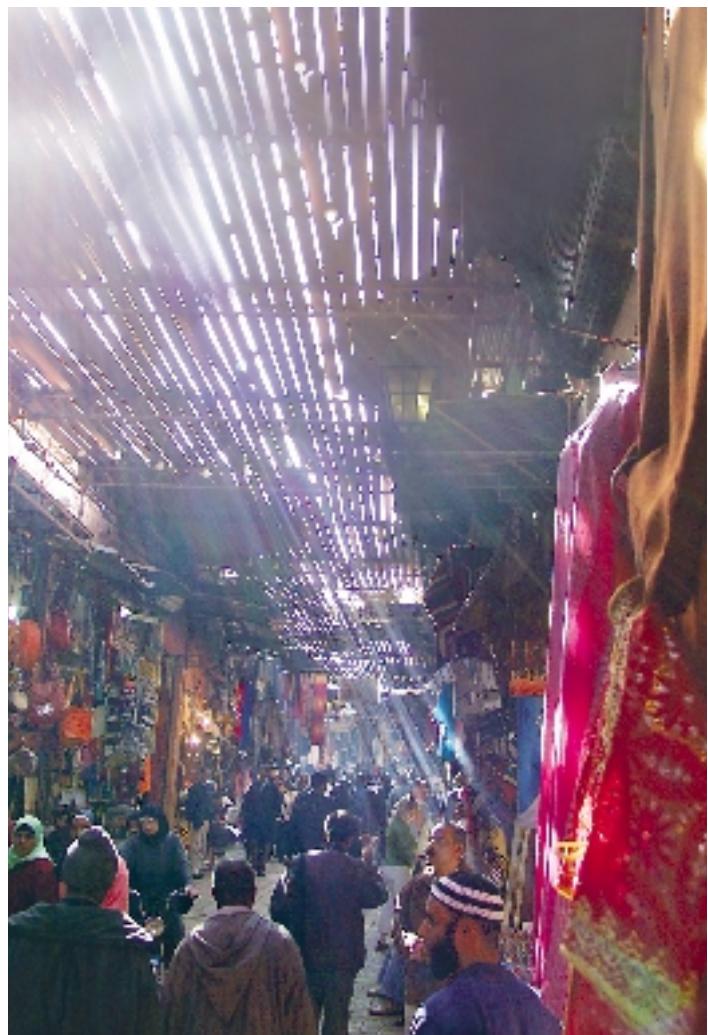
## الأسواق

أكثر من بضعة مؤرخين يدعون أن كلمة "السوق (ماركيت)" التي تستخدم في جميع اللغات الأوروبية مستمد من السوق في مراكش. وأن هذا الشكل من أشكال التجارة وصل إلى أوروبا عن طريق إسبانيا. قد يرى الشخص الذي يدخل سوقا لأول مرة متاهة من الممرات، ولكن في غضون بضع ساعات يبدأ بالتعرف على المنطق فيها والإشارات المفيدة التي تدل على الطريق. ويعرض الكثير من الحرفيين التقليديين صناعتهم للسياح. ورغم تشييد محلات الحديثة، فإن غالبية السكان يحصلون على مشترياتهم من السوق. من الجانب الشمالي لجامع الفنا تلجون إلى البوابة الرئيسية للسوق حيث أسواق بيع الفخار ومن ثم إلى شارع سوق السمariين الذي تباع فيه النسوجات وراء ساحة الرحبة



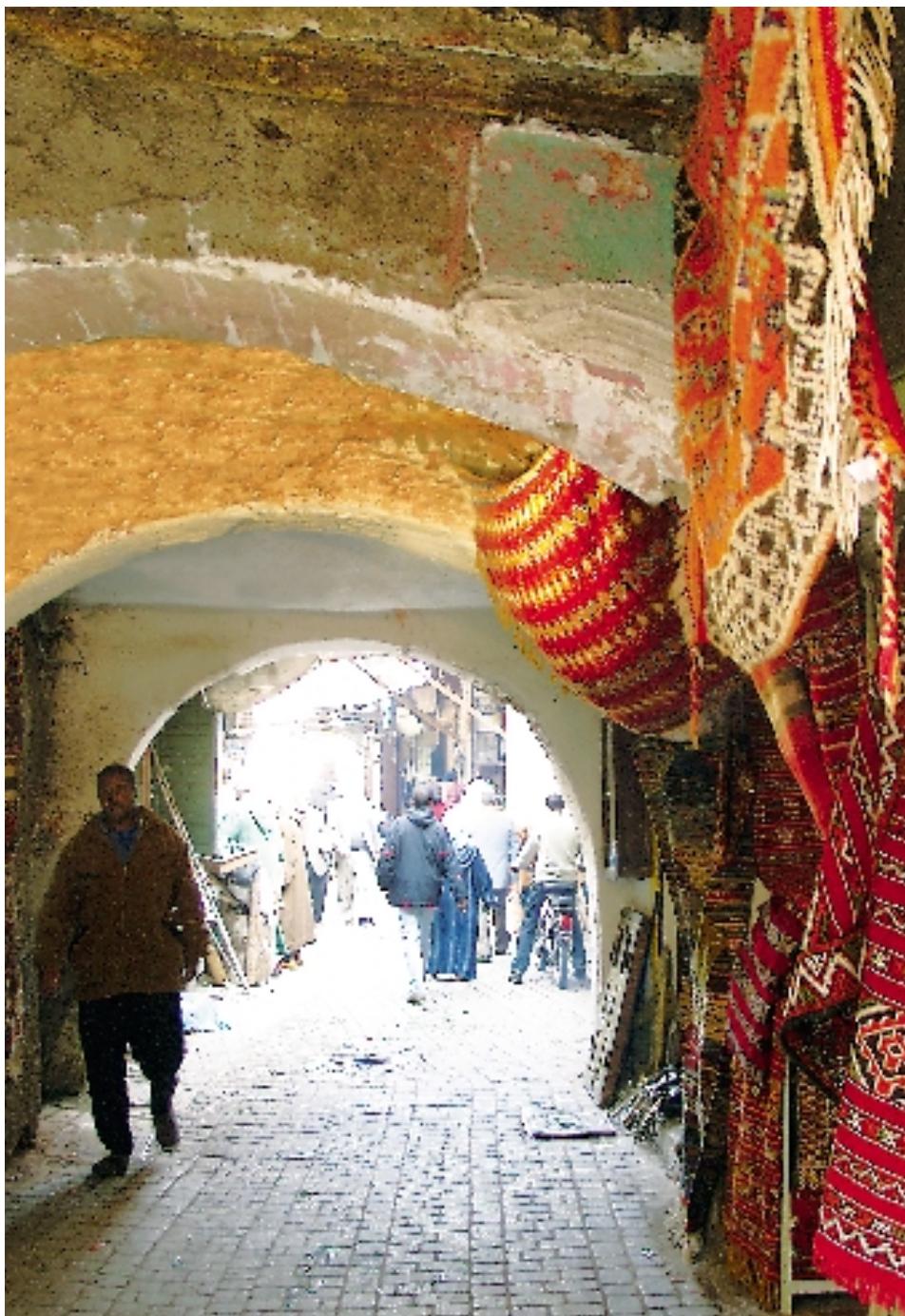
زقاق ضيق في القسم الجنوبي من السوق  
Narrow alley in the southern area of the souk

إن وصف "اللؤلؤة الحمراء" ليس من إبداعات كتب السفر في العصر الحديث، ولكن يعود إلى شاعرة أندلسية في القرن الثاني عشر، هي حفصة بنت الحاج، أعجبت كثيراً بالمدينة، والتي كانت في ذلك الوقت قد أشاد بها الرحالة العرب لللونها الأحمر الفريد والتميز لحجمها. وقد كانت رمزاً لسلطنة المرابطين والسلطان يوسف بن تاشفين (1009 - 1106) والذي امتد سلطانه إلى شمال إسبانيا. وقد أسس في عام 1070 مدينة ضخمة على بقعة جرداء، والمدينة ضخمة حتى مقاييس اليوم، فالحدار الذي يطوقها يبلغ طوله أكثر من 13 كم، وهي تتوسط على أكبر سوق في العالم، استكشف المدن القديمة بأسرها، سيستغرق أسابيع، وليس سوى جزءاً صغيراً منها، في الحقيقة، مألف للسائح العادي.



السوق عصرًا  
Late afternoon in the souk

على أن هذه الساحة هي بالفعل مسرحاً يلبي هذا الموقع رغبة كل سائح، لكن شيئاً واحداً يبقى غائباً وهو أن هذه الساحة، بالتأكيد، ليست هي المغرب، وبالنسبة للمغامرين الذين يتذمرون الطريق المعتادة للسياح، فإنهم لن يجدوا بالضرورة ما يبحثون عنه على أساس مائة سنة من كتب الرحلات، بالطبع لا، فإن مراكش هي مدينة متروبولية حديثة، وسيجدون فيها أشياء فريدة تحتاج إلى الإستكشاف، ولن يستفيد هذه الساحة غير الجميلة ولا تحمل الطابع العربي تماماً والتي تبدو في وضح النهار مللة ولكنها اختبرت من قبل اليونسكو كموقع للتراث الثقافي العالمي، ما يجدهونه فربما هو المدينة القديمة الكبيرة، وإذا كانت هناك نقطة جذب واحدة مهمة، ينبغي أن لا تفوتك السائح، فهي مراكش نفسها، وليس القبول بما تذكره كتب أدلة السفر.

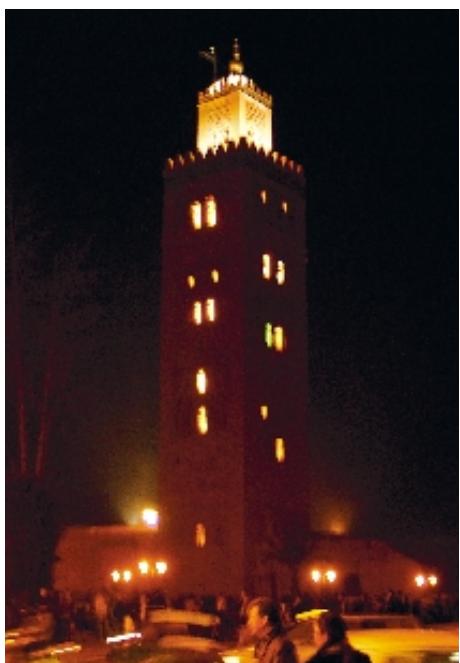


Narrow alley near Bahia Palace

الأطلس في الخلفية، أمر جدير بالقيام به حقاً. أيضاً "أن ما ينبع زيارة" هو متحف مراكش، ومتحف الفن الإسلامي ومتحف الفن الغربي. وإذا كان لديكم الوقت، لا تفوتكم زيارة إحدى الحدائق العربية الرائعة. وحتى لو كان ما يراه المرء هنا ليس هو بالضبط ما يمثل المغرب الحديث، فإنه مكان معقول للسكن، ومكان مثالٍ للبدع في تعويم النفس للتعرف على مناطق مجاورة مثيرة وغير مألوفة. ■

زقاق ضيق بالقرب من قصر الباهية

وقت واحد. ومن خلال باب أغناو في جنوب المدينة، وهي أجمل بوابة في المدينة، يدخل المرء إلى القصبة ومقابر السعديين وقصر الباهية وقصر الملك. وفي الجانب الجنوبي من مسجد القصبة توجد قبور السعديين. وهناك المسجد الفخم المقام على ضريح السلطان أحمد المنصور، وخلافاً لمسجد القصبة فهو لا يضم ضريحاً ولكن متاحفاً يمكن زيارته. والجولة حول قصر الملك وقصر الباهية ووحدائقهما، ومشاهدة جبال



جامع علي بن يوسف في الليل  
Ali Ben Youssef Mosque by night

القديمة حيث ينقسم إلى شارع سوق العطارين والسوق الكبير. ولا يوجد الكثير من الازدحام في الشوارع الجانبيّة الضيقّة، وهنا يمكن ملاحظة الحرفيّين وهم يعملون. وما يثير الاهتمام بشكل خاص هو مشاهدة أسواق التجارين والمُحَادِّين. وبينما تتمتعون بالشاي المعطر بالعنان فإن لديكم فرصة للاتصال بالسكان المحليّين.

### المساجد والمدارس الدينية

من مساجد المدينة الكبيرة مسجد علي بن يوسف. وهذا المسجد تقام فيه صلاة الجمعة وقد بني سنة 1120 وأعيد إعماره في القرن التاسع عشر، والمدرسة التي تحمل نفس الاسم تعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وكانت أكبر المدارس القرآنية في المغرب. منارة مسجد الكتبية التي يبلغ ارتفاعها 70 م تبدو للمشاهد من مسافة بعيدة وهي أثر تاريخي للمدينة، والمئذنة المربعة هي نموذج لكل من الجيرالدا في أشبيلية ومسجد حسان في الرباط، والمئذنة متوجة بأربع كرات نحاسية، ويقال أن هذه الكرات كانت في يوم ما مصنوعة من الذهب الحالص. وبلاطة الموزاييك الخضراء المتبقية في أسفل المئذنة تعرض لنا جانبًا من الجد القديم للمئذنة. ويتسع مكان الصلاة لأكثر من 1200 من المصلين في المسجد في